

## الخوارج في الأندلس

### تهيئة :

ولد حزب الخوارج بعد وفاة صفيين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان ، حينما اختلف اصحاب علي على قبول التحكيم ، فقد رأى البعض ان من الخطأ ان يحكم احد في كتاب الله ، فان ذلك يتضمن شك كل فريق من المحاربين أيهما الحق ، وهذا ما لم يقبلوه اذ أنهم حاربوا وهم مؤمنون ان الحق بجانبهم . وهكذا انشقوا على علي وخرجوا عليه مؤلفين حزبا ثالثا يعارض كلا الحزبين المتقاتلين : العلوي والاموي .

وكان الخوارج يرون ان تكون الخلافة او الإمامة من حق كل مسلم وان تكون بمبدأ الانتخاب الحر . فهم بهذا الشكل يمثلون نظرية الجمهورية الديوقراطية الى بعد الحدود . وقد اخلصوا لمبادئهم هذه اخلاصا شديدا واستماتوا في الدفاع عنها . وحاربوا الحكومة الاموية باستقلال وبسالة حتى كانوا فيما بعد من اهم عوامل سقوطها .

وقد كانت نظريتهم في الخلافة وشرعهم فيها الاسلام والعدل - بدل العروبة والحرية - مما جعل لحركتهم صبغة مضادة للحكم العربي ، وهو ما دفع كثيرا من الخوارج الذين كانوا يلاقون اشد الاضطهاد - من العصبية الاموية للمغرب - الى الانبثاق على هذه الدعوة الديوقراطية المستندة الى مبدأ اسلامي محض يقوم على التسوية بين جميع المسلمين ايا كان لونهم أو أصلهم .

### نشاط الدعوة الخارجية بين اوساط البربر :

واذا ذكرنا ان فتح الأندلس تم على ايدي العرب والبربر ، وان النزاع على توزيع الارض والفتنة بين الفاتحين لم يلبث ان نشب بين الفريقين . استطعنا ان نتصور مدى ما يمكن ان تلاقيه الدورات الخارجية من نجاح في الاوساط البربرية . وقد عرف الدعاة الخوارج كيف يستغلون سخط البربر في شمال افريقية حيث انتشر المذهب الاباضي بسرعة ، وكانت المعاملة السيئة التي لقيها زعماء البربر وعلى رأسهم ميسرة المدغري المعروف بالحقير عندما ذهبوا ينظفون الى الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك بالشام - عاملا مباشرا دفعهم الى ثورة عاتية في افريقية في سنة 122 (739م) - فسار ميسرة الحقير الى طنجة فقتل عاملها عمر بن عبد الله الصرادي ، ثم

## ادعى الخلافة ويومع بها (١).

وقد كان للاتصارات التي سجلها هذا الثائر الخارجى مبنى قوى في  
الاندلس ، فتار البربر على العرب بهذه البلاد ، وانتخبوا من بينهم إماما  
تصوبه عليهم، وأخرجوا حرب جليقية وغلبوا بهم في مناطق نواحي الاندلس (٢) .  
ومن الممكن ان نفترض ان هذه الثورة صحبها انتشار للتعاليم الخاريجية في  
بلاد الاندلس ، وبذلك على ذلك ان صاحب «الاخبار المجموعة» يذكر ان هؤلاء  
الخوارج كانوا يحلقون رؤوسهم مثل فعل الازارقة (٣) كما أنهم كانوا يرتدون  
المصاحب ويهتفون بشعار الخوارج المعروف في المشرق وهو «لا حكم الا  
لله» ، على ان صاحب «الاخبار» يذكر في موضع آخر (٤) ان هؤلاء البربر  
كان معتقدهم على رأى الإباضية والصفرية. على ان الأرجح ان هذه الحركات  
لم تتميز بلون إباضى أو صفرى واضح ، والاسلم ان يطلق على الثائمين بها  
اسم «خوارج» بمطلوه الواسع العام (٥).

## التورات الخارجية في عهد امراء بني لامية :

على انه بعد استقرار الامر لبني لامية في الاندلس ، ضعف أمر الدعوات  
الخارجية بهذه البلاد، ولعل ذلك يرجع لخمود جبهة الخوارج في مناطق

( ١ ) انظر خير نورة ميسرة الحقيير في شمال الفريقية ، الدكتور  
حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ( ط. القاهرة سنة ١٩٤٧ ) ص ٢٩١  
وما بعدها ، وانظر كذلك مقال الدكتور مؤنس نورات البربر في الفريقية  
والاندلس بين سنتي ١٠٢ - ١٣٦ ( ٢١ - ٧٥٣ م ) في مجلة كلية الآداب  
بجامعة القاهرة ( مايو ١٩٤٨ ) ص ١٦٨ والسراج المذكورة في هذين  
اليهتين .

( ٢ ) انظر أخبار مجموعة ص ٣٨ والمقرى : فتح الطيب ١٩/٤ .  
( ٣ ) الازارقة هم فرقة من الخوارج تنسب الى ناسع بن الارزق .  
وتعتبر أكثر فرق الخوارج تطرفا فهم يكفرون من عداهم من المسلمين  
ويستبيحون دماءهم وقتل نساءهم وأطفالهم - راجع البغدادي : الفرق بين  
الفرق ص ٦٢ - ٦٦

( ٤ ) ص ٢٨

( ٥ ) شك الدكتور حسين مؤنس في نسبة هذه التورات البربرية  
الى الصفرية او الإباضية خاصة ، ولعل ذلك بان هاتين الفرقتين هما أكثر  
الخوارج اعتدالا وتسامحا مما يتنافى مع ما اتسمت به توراتهم من عنف  
وتطرف ( انظر نورات البربر في الفريقية والاندلس ... ص ١٥٥ ) .



العالم الإسلامي بصفة عامة ، وتكاد الحركات الخارجية في الأندلس تنحصر في نوعين : حدثت أولاها في الجزيرة الخضراء في أيام الحكم الريبسي (١) ، وقد كتب الشاعر عباس بن تاصع النقلي قاضي الجزيرة الخضراء إلى الحكم يستنحيه إلى إخماد هذه الثورة ، وفعلنا بحمل الحكم بذلك فأسرع إلى الجزيرة ، وحمل السيف على أكثر أهلها .

وفي سنة ٦٠٠ ( ٨١٥ - ٨١٦ ) ظهر خارجي آخر من بربر مورود MORON ولكن الحكم يادر أيضا بالقضاء على هذه الثورة (٢)

### حكم الفقهاء المالكيين على الخوارج :

وجدير بالاعتناء في هذا الشأن أن نذكر آراء السلطات الدينية في الأندلس في تلك النزعات الخارجية . وقد كان رأي الفقهاء المالكيين الأندلسيين مسايرا لنشاط الدولة السياسي ، إذ أنهم كانوا يعتبرون «الخارجية» تهمة يحاكم عليها . وقد احتفظ لنا القاضي عياض بآراء المنقذين من هؤلاء الفقهاء : فهو يقل عن عيسى بن دينار الطليطلي (ت ٨٢٧/٢١٢) أن القى يدين الاباضية حكمه كحكم المرند . يستتاب من مقاتله فإن تاب والا قتل (٣) . أما عبد الملك بن حبيب (ت ٢٢٨/٢٥٨) فقد كان أكثر تطرفا ، إذ رأى أن حكم الاباضية كحكم الكافر ، أي أنه يقتل بغير استتابة (٤) . على أنه ورغم هذه الأحكام فإن التراجع لم تحتفظ لنا بغير عن محاكمة أحد الخوارج في هذه الفترة .

### علاقات الأندلسيين بالبول الخارجية في المغرب :

وإذا كان الأمويون بالأندلس لم يتسامحوا مع البدع الخارجية في حدود بلادهم فإن الظروف السياسية فرضت عليهم بأن يرتبطوا بصفة الصداقة مع الإمارات الخارجية التي كانت تحاورهم في شمال إفريقيا . وأهم هذه الإمارات هي الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب الأوسط . وصلة الأمويين بالرستميين قديمة ، فهي تبدأ منذ استنجد عبد الرحمن الداخل مؤسس

( ١ ) لم يحدد ابن الفوطية - وهو الذي يتفرد يذكر هذه الثورة - تاريخ قيامها ، إلا أنه يذكر أن ذلك كان بين وفاة الحضرة وولعة الريبسي بين ١٨١ و ١٨٩ هـ = ٧٩٧ - ٨٠٤ م . انظر تاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٩

( ٢ ) انظر ابن الأثير : الطامل ٥/ ١٨٠

( ٣ ) الشفا بالتحريف بحق المصطفى ٢/ ٣٧٢

( ٤ ) نفس المرجع ٢/ ٤٧٢

الامارة الاتدلسية بينى رسم عند هربه من العباسيين فى المشرق (١). وقد حفظ عبد الرحمن هذه اليد لأولئك الخوارج . وعند ذلك الوقت كانت سياسة الامويين التقليدية تقوم على حماية هذه الامارة الصغيرة وامدادها بالمساعدة . وقد كان ذلك طبيعيا ، فان امارة الرستميين كانت تقع بين جارين قويين يحاهدانها بالعداء : ففى الشرق تقع دولة الاغالبة السنية التى تدعى بالدعوة العباسية . وعن الغرب تقع دولة الادارسة العلوية ، وكانت الاتدلس الاموية عنوا طبيعيا لكلتا هاتين الدولتين . فاتجهت سياستها الى كسب صداقة الرستميين على رغم مخالفتهم لها فى المذهب والعقيدة . وفى سنة ٢٠٧ (٨٢٢) ارسل عبد الوهاب بن رسم ابنه الثلاثة فى سفارة رسمية الى قرطبة . وكان يوم استقباليهما يوما عظيما مشهودا (٢). وقد تبسح ذلك ان استعان عبد الرحمن الاوسط بكثير من رجال الرستميين وقوادهم من الاتدلس نفسها . وتحدثنا كتب التاريخ ان عبد الرحمن حينما انتصر على الشجوس (النورمانديين) فى سنة ٨٤٤/٢٣٠ بادر بإبلاغ نيا ذلك النصر الى حليفه الرستمى الفتح بن عبد الوهاب صاحب تاهرت (٣). كذلك يذكر المؤرخ المشرقى ابن جابر البلاذرى ان الفتح خرب مدينة بنامى محمد بن الاغلب وسماها العباسية تقربا بذلك الى الامير الاموى . فكافاه هذا بان ارسل اليه مائة الف درهم (٤).

وقد سارت الخلافة الاموية على هذه السياسة بعد ذلك لا سيما حينما قويت الدولة الفاطمية فى شمال افريقية . فحين نرى عبد الرحمن الناصر يؤيد التأثير الخارجى ابا يزيد مخلد بن كيدار المعروف بصاحب الحمار حين

( ١ ) انظر المقرئ : فتح الطيب ٢٨/٤

( ٢ ) انظر لطفى برونسالى : تاريخ اسبانيا الاسلامية ٢٤٤/١ - ٢٤٥ ( معتمدا على نص لابن حبان فى المقتبس ) وكذلك ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ٤٨/١ : وبعثا للاستاذ محمد بن تايوت عن دولة الرستميين (نعت الطبع فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمقرىد - المجلد الخامس سنة ١٩٥٧ )

( ٣ ) انظر لطفى برونسالى : تاريخ اسبانيا الاسلامية ٢٢٤/١

( ٤ ) فتوح البلدان ص ٢٢٦



قام بالثورة على الخليفة الفاطمي «القائم بأمر الله» . وفي سنة ٢٣٤ (٩٥٤) أرسل أبو يزيد هذا سفارة إلى قرطبة استقبلها عبد الرحمن بالحفاوة والترحاب . ثم ردها محملة بالهدايا . وقد كتب أبو يزيد إزاء ذلك إلى عبد الرحمن يعترف بإمامته (١) .

### الر العقائد الخارجية في الأندلس :

وطبيعي أن هذه الصلات الوثيقة بين الأندلس الأموية والإمارات الخارجية في الشمال الأفريقي كان ينبغي أن تترك آثارها في الشعب الأندلسي . وطبيعي كذلك أن نتوقع أن هذه الآثار كانت متبيلة على أية حال ، فسيطرة العقيدة السنية المطلقة على الأندلسيين لم تكن تدع مجالاً لمثل هذه البدع الخارجية لأن لاخذ صيغتها إلى التسرب في عقيدة الأندلسيين .

على أنه رغم ذلك فقد وجدت في الأندلس نزعات خارجية من احتكاك أهل هذه البلاد بجيرانهم في شمال أفريقية . ونجدنا كتب التاريخ أن أندلسياً من أهل وشقة *Waresa* يدعى عبد الرزاق الفهري رحل إلى المغرب الأقصى في منتصف القرن الثالث الهجري حيث دأب بالمشرب الخارجي . بل أنه نصب نفسه إماماً لفرقة منهم . وما لبث أن تار في جبال سلا على المحيط الأطلسي على الأمير الإدريسي على الثاني بن عمر . واستطاع أن يحتل «فاس» حيث أسرع إلى الخطبة باسمه أهل المدينة الأندلسية . ويدلنا هذا على أنه كان «مسكاً» بقوميته الأندلسية متمسباً لها . كما يدلنا على ذلك أيضاً بناؤه قلعة متينة بجبال سلا سماها باسم موطنه الأول . وشقة (٢) .

ومن آثار الخارجية في العقائد الأندلسية ما يذكره المؤرخ الرازي من أن أحد المغلبين بقرطبة هو جابر بن غيث الليلي - وكان يعلم إنشاء الوزير هاشم بن عبد العزيز - كان كثير التشدد في الدين حتى أنه كان في صارمته يقارب الإباضية (٣) .

ويذكر المستشرق الأسباني فرانسيسكو كوديرا أن أبوب بن سليمان القوطي ( ت ٩٢٦/٩٢٧ م ) - وهو حفيد للكونت يوليان الذي تم على يديه فتح الأندلس - أدخل إلى الأندلس كتب الخوارج ، ولكن ليس لدينا ما يثبت

( ١ ) انظر ليفي بروغنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية ١٠٣/٢ - ١٠٤

( ٢ ) انظر خبره في ابن أبي ذرع : رضى الفرطاس ص ٤٧ ( تحقيق

كارل تورنبرج Carl Torrenberg - ط. إيساله سنة ١٨٤٣ )

( ٣ ) انظر ترجمة جابر بن غيث في : ابن الأثير : التكملة ترجمة رقم

٥٣٠ ص ٤٤٥ وابن الفرطاس ترجمة ٣١٢ والسيوطي : بنية الوعاة ص ٢١٠

## هذا الرأي (١).

على أن الأخذ بالمبادئ الخارجية بقي تهمة يتعرض المنبسط بها  
لأنفس العقوبات . وفي أواخر أيام الدولة الأموية نجد فيها مشهورا هو أبو  
عمر الطلمسكي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) . يتهم في سنة ٤٢٥ هـ بأنه خارجي  
سافك للدماء يرى ولطمع السيف في حال الحز المسلمين ، على أن هذه التهمة  
لم توجه إليه لاعتناقه عقيدة خارجية صريحة بل لشدة وصرامته في الحكم  
على فقهاء عصره المالكيين لتجرحهم وجمودهم . وقد حوكم لذلك بتهمة  
الخارجية في سرقسطة ، وشهد عليه بها خمسة عشر قاضيا من أكبر فقهاء  
عصره ، على أنه يرى من ذلك بفضل قاضي سرقسطة محمد بن عبد الله بن  
فرتون (٢) .

ويبدو أن كثيرا من البربر الذين اشتركوا في فتح قرطبة وعملوا على  
تخريبها في أيام الغلبة البربرية كانوا من المتأثرين بالمبادئ الخارجية ،  
وليس ذلك غريبا إذا قدرنا أنه في أواخر أيام الدولة العمارية كثرت هجرات  
القبائل البربرية إلى الأندلس بحكم استئمان المنصور بن أبي عامر وحلفائه  
بهم في حروبهم الكثيرة . وقد تسربت إلى الأندلس عن طريق هذه الهجرات  
كثير من المعتقدات الغريبة التي لم تعرف في هذا القطر أيام الخلافة الأموية .  
وكان من بين هذه المعتقدات ما كان شيعيا سطر عن وجهه حينئذ (٣) . وكان  
من بينها كذلك لزعات خارجية كان لابد أن تنتقل إلى الأندلس من شمال  
أفريقية حيث لقيت انتشارا واسعا . وبدلنا على ذلك ما يذكره ابن الأبار في  
ترجمة أحد كبار موظفي الدولة الأندلسيين من أنه لئله «خوارج البربر» حين

(١) انظر Francisco Codera : Estudios Críticos sobre la Historia árabe  
española, T. IX, (1917, p. 341).

وكذلك نفس المؤلف في مجلة التجميع التاريخي الملكي :

Boletín de la Real Academia de la historia T. XXI, p. 496.

ورأي كوديرا يستند إلى تفسير خاطيء لـ «الكتب العراقية» التي يذكر ابن  
الفرغاني في ترجمة أيوب بن سليمان المذكور ( راجع ٢٦٨ ) أنه أدخلها إلى  
الأندلس . وابن الفرغاني هنا يعني كتب اللغة العراقية ويخص من ذلك كتب  
اللغة المحنفة التي كان يطلق عليه قلة أهل العراق .

(٢) في ترجمة أبي عمر الطلمسكي راجع ابن بشكوال : الفصل ٩ .  
وفي اتهامه بالخارجية انظر ابن الأبار : التكملة ت ٤٢٥ .

(٣) انظر بحثنا عن «النشيج في الأندلس» في صحيفة المعهد المصري  
للدراسات الإسلامية في مدريد سنة ١٩٥٤ ص ١٢٧ رقم ١ .



فتحوا قرطبة سنة ٤٠٣ هـ. (١).

والواقع أن الحرية الفكرية التي تمتع بها الفكر الأندلسي بعد انهيار الخلافة الأموية كان لها أعظم الأثر في عودة كثير من العقائد الخارجية إلى الظهور دون أن تتعرض للاضطهاد أو التعقب، فوجد بعد ذلك من أهل الأندلس من كانوا يتحلون مذهب الخوارج في صراحة. ويذكر ابن الخطيب (٢) في حديثه عن محمد بن عبد الله البرزالي أمير قرمونة Carmona وابنه اسحق أنهما كانا معروفين «بإشتهارهما بالنكوب عن الجماعة واعتقادهما بمذهب الناكرين من فرق الإباضية الخوارج يستأثران بذلك هما وقومهما من بني برزال، أعمالهم وأقوالهم في ذلك معروفة».

وعناك مثل آخر يذكره ابن حزم، ذلك هو قرية بلقيش Valetique في منطقة ألمرية Almería التي كان أهلها على مذهب الخوارج يستنرون (٣). وفي موضع آخر يتحدث ابن حزم بتفصيل عن عقائد بعض من شاهده وأصل به من خوارج الأندلس، وهو يصرح بذكر اسم رئيسهم «أبي اسماعيل الطيحي» الذي كان من الأزارقة إلا أنه أرسى وزاد عليهم، ويقول أن من الشرائع التي منها لأصحابه تخفيض عدد ركعات الصلاة وتحريم أكل السمك حتى يذبح، وحوار الحج في جميع شهور السنة، وعدم أخذ الجزية من المجوس، وتحريم طعام أهل الكتاب... إلى غير ذلك مما يدرسه ابن حزم في باب «ذكر شيوخ الخوارج» من كتابه الفصل (٤). وينص ابن حزم على أنه نال من بعض الإباضية - وهم الغالبون على خوارج الأندلس - فسألهم عن إمامهم في علمهم ومذهبهم فلم يدلوا إليه بخير كاذب عن ذلك.

(١) هو عبد الله بن حسين المعروف بابن الغريالي القرطبي -

ترجمته في التكملة رقم ١٢٧٧

(٢) أعمال الإعلام (نقلا عن ابن حبان) ص ٢٢٧

(٣) لفظ العبروس (حسب ما نقله عنه ليفي بروقتسال : تاريخ

إسبانيا الإسلامية ١/١٦١)

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/١٨٩-١٩١ وانظر

الترجمة الإسبانية له : Asín Palacios: Abenobáam de Córdoba y su Historia Crítica : la traducción de las Ideas Religiosas, V, P. 73.

وانظر كذلك : Asín Palacios: Ibo Masarra y su escuela (en Obras escogidas, I, P. 23)

## مراجع البحث

## مراجع عربية :

ابن الأثير : ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله القاضي )  
 التكملة لكتاب الفصول ( المجلدان الخامس والسادس من المكتبة  
 الاندلسية - نشر الاستاذ فرانسيسكو كوديرا - مدريد ١٨٨٧-١٨٨٩ )

## ابن أبي ذرع :

الانيس المطرب بسروض القرطاس ( تحقيق كارل تورنيسرج ط  
 أساله سنة ١٨٤٣ )

## ابن الأثير : ( علي بن أحمد بن أبي الكرم )

الكامل في التاريخ ( ط. القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٣ هـ )

## اخبار مجموعة :

لمؤلف مجهول - نشر لافولت الكترا ط. مدريد ١٨٦٧

ابن بشكوال : ( أبو القاسم خلف بن عبد الملك )  
 الفصول في تاريخ امة الاندلس وعلماهم ومحدثهم وفتااتهم وادباهم -  
 المجلدان الاول والثاني من المكتبة الاندلسية - تحقيق فرانسيسكو  
 كوديرا - ط. مدريد ١٨٨٢ - ١٨٨٣ .

## البغدادي : ( عبد القادر بن طاهر )

الفرق بين الفرق - ط. القاهرة سنة ١٩١٠

## الجلالدي : ( أحمد بن يحيى بن جابر )

فتوح البلدان - ط. القاهرة سنة ١٩٣٢

## ابن حزم : ( أبو محمد علي بن سعيد بن حزم )

الفصل في الملل والاهواء والنحل ط. القاهرة سنة ١٣١٧

## ابن الخطيب : ( لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني )

أعمال الاعلام ( نشر ليلى بروفسال - بيروت سنة ١٩٥٦ )

## ابن سعيد : ( علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المغربي )

المغرب في حلى المغرب ( نشر الدكتور شوقي ضيف - القاهرة ١٩٥٢ )



**السيوطي :** ( جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر )

بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - ط. القاهرة سنة ١٣٢٦هـ.

**القاضي عياض :** ( أبو الفضل عياض بن موسى السبتي )

الشفاف في التعريف بحق المصطفى - ط. القاهرة

**ابن الفرغى :** ( أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف )

تاريخ علماء الأندلس ( المجلدان السابع والثامن من المكتبة الأندلسية

نشر فرانسيسكو كوديرا ط. مدريد ١٨٩٠

**ابن القوطية القرطبي :** ( أبو بكر محمد بن عبد العزيز )

لتاريخ الفتوح الأندلس - نشر خوليان ربيرو مدريد ١٨٦٨

**المقري :** ( أحمد بن محمد المقرئ التلمساني )

لمع الطبيب من فضاء الأندلس القرطبي ( عشرة أجزاء نشر الشيخ

محيي الدين عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٤٩ )

بحث الأستاذ محمد بن قاريت عن دولة «المرستمين»

### مراجع أوروبية :

M. ASIN PALACIOS: «Ibn Masarra y su escuelas» (en «Obras Escogidas», t. I, Madrid, 1946).

«Abenházam de Córdoba y su Historia Crítica de las Ideas Religiosas», Madrid, 1927-1932.

FRANCISCO CODERA: «Estudios críticos sobre la historia árabe española», t. IX, Zaragoza, 1917.

E. LEVI-PROVENÇAL: «Histoire de l'Espagne Musulmane» (Paris-Leyden, 1950).